كتاب الاموات

لجناب الدكتور غرانت بك

لو قال قائل انهُ كان عند اقدم الشعوب وارقاهم حضارةً كتاب دينيٌّ كبيرٌ اعتقدوا منهُ الوف من السنين انهُ المرشد الوحيد الى الآداب والفضائل والهادي الى السماء وكان لهُ في نفوسهم المنزلة الاولى حتّى لقد كان يوضع في تابوت كل احدٍ من ذوي المقامات العالية لتاقت نفوسنا الى رؤية هذا الكتاب ومعرفة ما فيهِ . وهذا شأن كتاب الاموات الذي كان عند قدماء المصريين في ايام مجدهم وسوددهم فانهم كانوا يحسبونهُ مرشدًا في هذه الحياة وهاديًا الى الابدية. وغنيٌّ عن البيان ان علماء هذا العصر اهتموا بامرهِ اهتمامًا شديدًا وحتّى الآن لم يتسنَّ لهم ان يترجموهُ ترجمة خالصة من كل شائبة لما في ترجمة الكتب الدينيَّة وفهم رموزها واستعاراتها من الصعوبة ولكنهم وجدوا نسخًا كثيرة منهُ مزدانة بالصور البديعة الناطقة بمضمونهِ الكاشفة كثيرًا من غوامضهِ

وهذا الكتاب فصول متوالية منقطع بعضها عن بعض ككتاب الزبور وفيهِ ترانيل منظومة في مدح معبوديهم را واوسيرس وصلوات يصليها معبودهم هورس الى ابيهِ اوسيرس من اجل الميت الذي وُضع الكتاب في تابوتهِ وصلاة يصليها الميت طالبًا من قلبهِ او ضميرهِ ان لا يشتكي عليهِ وصلاة اخرى يصليها لاوسيرس و يتبرأ بها من الذنوب . وقواعد وقوانين يستظهرها الميت لكي يتلوها امام ابواب السماء حتّى تسمح لهُ الآلهة حجّابها بدخولها

ومنذ نحو سنتين ابتاع المستر بدج العالم الانكليزي نسخة من هذا الكتاب لدار التحف البريطانيَّة مكتوبة على البردي مثل بقيَّة كتب الاموات ومزدانة بالصور البديعة . وقد ظهر انها اكمل النسخ التي وجدت الى يومنا هذا . وفي دور التحف نسخ كثيرة من هذا الكتاب مؤلفة من فصول كثيرة ولكن لم توجد حتّى الآن نسخة تحوي جميع هذه الفصول بل قد ثبت ان النسخة المشار اليها آنفًا اوسعها كلها وفيها كلامنا الآن

وفي هذه النسخة او الدرج ستون فصلاً من اقدم الفصول و بعضها اكمل من الفصول التي في غيرها من النسخ التي وُجدت الى الآن والدرج كلهُ مزدان بصور توضح متنهُ وهي مزوقة بابهى الالوان واجملها

وقد كتب هذا الدرج ليوضع في قبر انسان من العظماء اسمهُ آني وكان امينًا لبيت المال وقيِّمًا على امراء امراء ابيدوس و يظهر من بعض الادلة الخطيَّة انهُ كان عائشًا في حدود سنة

١٤٠٠ قبل المسيح وكأنهُ كان خليفة ليوسف الصديق

ويصوَّر اني عالمًا في هذا الدرج مع زوجتهِ واسمها توتو و يقال فيهِ انها درست فن الموسيقى في مدرسة امون را الاله الاول من الآلهة الثلاثة المعبودة في طيبة . و يفتتح بصورة اني منتصبًا في هيئة العبادة ورافعًا يديهِ وامامهُ مائدة عليها قربان من الخبز واللحم والاثمار دلالةً على ان العبادة والتقى خير مناقب الرجل وعليهِ حلة بيضاء طويلة الاردان تتصل ذيولها الى المخلخل لها طوق مزركش وذراعاهُ مكشوفتان وفيهما سواران عند الرسغين ودملجان فوق المرفقين وعلى وجههِ امارات الهيبة والوقار وشعرهُ اسود منصَّب وعارضاهُ وشاربا مُحلوقة وله عثنون صغير تحت شفتهِ السفلى وهو ممنطق بمنطقة ولهُ ذوابتان معلقتان بكتفيهِ ووجههُ احمر ورجلاهُ حافيتان لان النعال لم تستعمل في مصر الاَّ في ايام الدولة التاسعة عشرة

وزوجتهُ توتو مشوقة القد منتصبة القوام جميلة الوجه بسيطة اللباس مهندمة ولباسها رداء ابيض من عنقها الى قدميها وهي تجلاه العينين شمَّاء الانف ياقوتيَّة الشفتين اسيلة الخد بيضاء الجلد فاحمة الشعر غدائر شعرها مسترسلة قصائب على ظهرها الى وسطها وعلى عنقها طوق اخضر مزركش وعلى رأسها عراقيَّة مزركشة فيها طاقة من ازهار النيلوفر متصلة بها بشربط ذهبي وردناها واسعان وساعداها مكشوفان وفي كل يد سواران وفي يسراها مزهرة فيها زهرة طويلة وفي يمناها قيثارة من المثالث لها حلقات تخشخش وقت قرع الاوتار دلالة على ان مسكتها من قينات الهيكل . وقد كررت صورة هذه المرأة مرارًا كثيرة وهي واحدة كيفما اختلفت اوضاعها

ومما يستحق الذكر ان هذه المرأة عاشت في عصر موسى الكليم ولعلها رأته وكلمته ولا يبعد انها كانت من نساء البلاط اللواتي تحدثن بخروجهِ من قصر الملك على حين غفلة وتركهِ تاج الملك من اجل قوم من صانعي اللبن او انها كانت من اللواتي تكلن ابكارهن ليلة خروج بني اسرائيل من مصر

وقد كُرِّرت صورة آني وزوجتهِ مرارًا عديدة على اساليب شتى وذكرت معها الصلوات التي يصليانها او التراتيل التي يرتلانها وكثيرًا ما صورت معهما صورة الآلهة التي يعبدانها . ومن هذه الصور صورة وزن القلب او الضمير بميزان عبارة العدل او الحق او الناموس وفي احدى هذه الصور تجد الاله هورس آتيًا مع آني الى امام الاله اوسيرس وجاثيًا امامهُ وهو يخاطبهُ بالكلام الآتي

"قال هورس بن ايسس اتيت اليك ايها المجيد واحضرتُ معي آني المتعبد لك وقد وُزن قلبهُ فوجد سليمًا وهو لم يخطئ الى اله ولا الى الهة وقد وزنهُ ثوت بحسب الكتب التي

اوحى بها اليو جمهور الآلهة فليُعطَ خبزًا وخمرًا وليُسمَح له بالحضور في حضرة اوسيرس وليكن مثل ارحار هورس الى الابد"

ثم يصلي آني ويقول

"هانذا امامك يا اله الامنتي وليس في خطيئة ولم انطق بالكذب ولا انا ذو لسانين فدعني اكون من الذين انعمتَ عليهم من الذين قبلهم اوسيرس الاله الصالح واحبهم ربُّ العالمين انا آني كاتب الملك الذي احبهُ واقف امامك بظفر" ومن ثمَّ يمضي آني برفقة الآلهة كأنهُ واحد منهم

ويظهر من تتبُّع الصور في هذا الدرج ان اتحاد الزوج والزوجة كان ابديًا عند قدماء المصريين فقد مُثِّل فيها طريق آني الى الحياة الأخرى مع ما يحيط بهِ من الافراح والارتياح وكانت زوجتهُ توتو مرافقةً لهُ فيها كلها ومشاركة اياهُ وذلك دليل على اعتقادهم بطهارة الزيجة واتصال عراها بعد الموت

وحضور آني امام اوسيرس دلالة على موتهِ ومن ثمَّ تصير الصور تمثل جنازتهُ وما يجري لهُ بعد الموت وتجرُّد زوجتهُ من حلاها دلالةً على مرافقتها لهُ في الحياة الاخرى وتتوالى صورها معًا بعد ذلك على حالات شتى فتراها مرةً جالسين يلعبان لعبةً تشبه الداما رمزًا الى انهما يقضيان الوقت بالمسرَّة والحبور او تذكارًا لمعيشتهما في هذه الحياة الدنيا وبعد ذلك صورة قبر وفوقهُ صورة نفس آني وتوتو في شكلي طائرين لهما وجهان بشريان . ثم ترى صورتهما راكعين يحييان فلك الشمس وبعد ذلك يُريان مقتربين من ابواب السماء السبعة فيدخلها منها احد الكهنة ويأتي بهما الى منزل رحب تسكنهُ مخلوقات سمويَّة ثم يُريان في بستان فيهِ شجرة الحياة ونهر مترقرق الماء وتتوالى الصور على هذه الكيفيَّة وهي تدل على انهما متمتعان بالسعادة الابديَّة في فردوس النعيم

ويُمثَّلان بعد ذلك قائمين يعبدان ثلاثة آلهة شكلها واحد والوانها مختلفة احدها اخضر والثاني اصفر والثالث احمر وهي الوان طيف النور الابيض . والصور الثلاث الاخيرة بديعة جدًا وفيها صورة آني وتوتو يقدمان القرابين الفاخرة

فهذه الصور وامثالها ممَّا ضربنا عن ذكرهِ صفحًا تدلُّ دلالةً واضحة على ان المصريين الاقدمين كانوا يعتقدون بالمعاد وبان السماء محل الطهارة والمحبة وبان رباط الزيجة ابدي فيبقى الزوج والزوجة مرتبطين برباط المحبة ابد الدهر

وفي نصوص هذا الكتاب ادلة كثيرة على ان المصريين القدماء كانوا يعتقدون ان

فوق الطبيعة الها عظيمًا يُعبَد بلا هيكل ولا مذبح ولان القصص والاحاديث التي في ديانتهم انما هي تصورات شعرية لا يقصد بها معناها الحرفي بل المجازي

وهناك امرٌ آخر لا يحسن اغفاله وهو ان كل القرابين والتقدمات المذكورة في هذا الكتاب انما هي من نوع قرابين قايين لا هابيل اي من اثمار الارض لا من حيوانها فهي قرابين الشكر لاجل خيرات الله ونعمه لا ذبائح الكفّارة عن الخطيئة فان المصريين القدماء كانوا يعتقدون ان الكفّارة قد قدّمت بموت اوسيرس الذي مات كفّارة عن الخطيّة فصارت ديانتهم ديانة المحبة والشكر لمصدر الخيرات والنِعَم

مصر قبل التاريخ

لجناب المستر فلندرس بتري

في الشعاب التي في جانبي وادي النيل ادلّة كثيرة على ان الامطار كانت تهطل غزيرة في الاعصار الغابرة حتّى يبلغ السيل الربى . وقد تبينتُ الامور التالية فذكرتها بالايجاز على امل ان يراها بعض العلماء بطبقات الارض ويبحث فيها البحث المدقق اما الامور فهي

اولاً ان الامطار كانت غزيرة قبلما عمق مجرى النيل حتّى كانت المياه تجري نهرًا طاميًا وتحت الحجارة وتصيرها حصًى مستديرة وهذه الحصى منتشرة الآن على ضفتي النيل شمالاً وجنوبًا اميالاً كثيرة دلالةً على انها لم تلقَ على شاطئه بحريّ ولا تكوّنت في جوف من الاجواف بل استدارت بحركة الماء السريعة . وقد رأيت هذه الحصى على قمم التلال التي تفصل وادي النيل عن بلاد الفيوم وقد جرف النيل اكثرها ولم يبقِ منها الاّ آكامًا ارتفاعها من مئتي قدم الى ثلثمئة قدم فوق سطح النيل

ثانيًا ان الصخور المبسطة في الصحاري الشاخصة على جانبي وادي النيل افقيّة مستوية في الغالب ولكن فيها منخفضات صغيرة اتساع بعضها ربع ميل او نصف ميل وعمقها نحو مئتي قدم . والصخور افقيّة على جانبي كل منخفض بدل شكلها الظاهر على ان الارض المطمئنة بينها قد هبطت عنها هبوطًا بعد ان كانت موازية لها ولا يظهر ان لهذا الهبوط سببًا غير انهُ كانت تحت الارض كهوف كبيرة فخسفت الارض التي فوقها وصار منها ذلك المنخفض او المطمئنّ وهذه الكهوف لا تتكوّن الاّ اذا كانت الامطار غزيرة والارض على جانبي الوادي عالية حتّى تجري السيول بسرعة وتخدّد جوف الارض وتكوّن فيها الكهوف ولاسيما